الإجازة العلمية مظهر من مظاهر التواصل الحضاري بين المغرب الأوسط والأندلس خلال القرن (7 – 9 هـ / 13 – 15 م)

Scientific graduation is a manifestation of cultural communication between the central Maghreb and Andalusia during the (7th-9th century AH / 13th-15th century AD)

بن يوسف الحاج
جامعة عبد الحميد بن باديس -مستغانم
hadjbenyoucef1@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2026/02/01 **تاريخ القبول: 2026/02/05** **تاريخ النشر: 2026/02/21**

الملخص:

من أعظم ما اعتنى به المسلمون في رحلاتهم وتنقلاتهم داخل العالم الإسلامي تبادل الإجازات العلمية، التي كانت من أبرز حلقات الاتصال والتواصل بين علماء المغرب والأندلس.

وكانت هذه الإجازات في حد ذاتها مقياسا بارزا يعكس حجم المبادلات والعلاقات العلمية بين الأقطار والعلماء، كما تبرر مستوى الإنتاج الفكري لكل عصر.

وسنحاول في هذه المداخلة الإجابة عن بعض الأسئلة المتعلقة بمفهوم الإجازة وأهميتها التاريخية، وما مدى حضور علماء المغرب الأوسط في هذا المجال من حيث اجازاتهم لغيرهم وطلب اجازة غيرهم (من علماء الأندلس)، والوقوف على المجيزين والمجازين والعلوم التي انتشرت فيها الإجازة في الفترة الممتدة من القرن 7 هـ الى 9 هـ (13م -15م)، على اعتبار أنها أخصب العهود في المغرب الأوسط لاشتهارها بجيل من العلماء ساهموا بفعالية في إثراء الحركة العلمية.

الكلمات المفتاحية: الإجازة؛ أنواع الإجازات؛ الرحلة العلمية؛ المغرب الأوسط؛ الأندلس.

Abstract :

One of the most important aspects of Muslim travel within the Islamic world was the exchange of scholarly licenses (ijazah), which served as a vital link between scholars of the Maghreb and Andalusia.

These licenses were a significant indicator of the extent of scholarly exchange and relations between different regions and scholars, and they also reflected the level of intellectual output in each era.

This paper will attempt to answer some questions related to the concept of the ijazah and its historical importance. It will examine the role of scholars from the central Maghreb in this field, both in granting licenses to others and in seeking licenses from Andalusian scholars. The paper will also explore the individuals who granted and received licenses, and the fields of knowledge in which the practice of ijazah flourished during the period from the 7th to the 9th centuries AH (13th-15th centuries CE). This period is considered the most fertile in the central Maghreb, renowned for a generation of scholars who actively contributed to the enrichment of the intellectual movement.

Keywords: Ijazah; Types of Ijazah; Scholarly Travel; Central Maghreb; Andalusia.

المقدمة:

تكتسي الرحلة في طلب العلم أهمية كبيرة، إذ تشكل سمة بارزة في حياة المجتمع المغاربي والأندلسي ومن أهم الروافد التي ضمنت التواصل العلمي والفكري والثقافي والاجتماعي، فالمصادر المغربية والأندلسية تزخر بأخبار هذه الرحلات. حيث سعى طلبة العلم للارتحال للاستزادة من علوم المشايخ وطلب الإجازة منهم.

شكلت الإجازات العلمية بحق واحدة من أبرز حلقات الاتصال والتواصل بين العلماء، حيث استطاعت أن تتبوأ مكانة مرموقة وتأخذ شكل ظاهرة فريدة جعلت راغبيها من طلبة العلم ببلاد المغرب الأوسط والأندلس يسعون إليها بكل جهد وعناء، فالطالب كان يتخير مكان التلقي بالسفر إليه ويختار الشيخ البارز المشهود له بالبراعة والذي كتب شهرته بتآليفه وكثرة تلاميذه فيستجيزه.

سنحاول في هذه المداخلة الإجابة عن بعض الأسئلة المتعلقة بمفهوم الإجازة وأنواعها خاصة الإجازة العلمية وقيمتها التاريخية وما مدى حضور العلماء المغاربة والأندلسيين في هذا المجال من حيث إجازتهم لبعضهم البعض والوقوف على المجيزين والمجازين والعلوم التي انتشرت فيها الإجازة في الفترة الممتدة من القرن 7 هـ الى 9 هـ (13م -15م)، على اعتبار أنها أخصب العهود في المغرب الأوسط لاشتهارها بجيل من العلماء ساهموا بفعالية في إثراء الحركة العلمية.

1. تعريف الإجازة:

1.1.لغة واصطلاحا:

* **الإجازة لغة:** مصدر فعل أجاز وله عدة معان منها:

الإجازة تعني الإباحة والتسويغ كقولنا: هذا فعل جائز وأجاز الرأي والأمر بمعنى أنفذه.

كما تأتي الإجازة بمعنى أجازه وجازاه أي أعطاه الجائزة، وفي القاموس المحيط أجاز له سوّغ له، طلب الإجازة أي الإذن[1].

الإجازة مصدر وأصلها "إجوازة" تحركت الواو، وتوهم انفتاح ما قبلها فانقلبت ألفا، وحذفت أحد الألفين لالتقاء الساكنين فصارت "إجازة" وهكذا نلاحظ الاستخدامات المتعددة والمتنوعة للكلمة مما يدل على ثراء اللغة العربية.

* **الإجازة اصطلاحا:** عرفت بتعاريف متباينة، ومن بين هذه التعريفات أنها اذن في السماع والرواية لفظا أو كتابة[2] واعتبرت أنها من العطية، فأجازه بمعنى: أعطاه، وهذا الاشتقاق نسبة إلى الإجازة يمنحها الأستاذ لتلميذه الذي استوعب العلوم التي درسها وعلمه إياها، لأن الطالب

إذا آنس من نفسه القوة في العلم والقدرة على التدريس والإفتاء والرواية طلب من شيخه أن يجيزه[3].

وقيل أنها شهادة موثقة جرت العادة أن يمنحها محدث أو فقيه أو عالم إلى طلاب العلم، وكان يسمح للطالب بموجبها رواية الحديث والفتوى ومزاولة التدريس فيما أجيزه[4].

واعتبر أحد الباحثين أن الإجازة العلمية تعد تتويجا للمسار الدراسي للطالب وهي تضاهي في عصرنا الشهادة الممنوحة للطالب في آخر مشوار دراساته، بحيث تخول له حق ممارسة التعليم ونقل السند، بعد مسار تحصيلي حافل[5] ويظهر من التعريفات السابقة أن الإجازة العلمية هي شهادة يمنحها الشيخ أو الأستاذ لطالب العلم ليروي ما درسه عنه ويذكر أحد الباحثين[6] أن الشيخ يمكنه أن يمنح هذه الإجازة لطالبه بثلاث كيفيات إجازة تحريرية (أي مكتوبة) وإجازة في قسمين بالمشافهة أولا وتحريرية ثانيا وإجازة شفاهية.

ويتضح مما سبق أن الإجازة لغة مصدر لفعل أجاز، ويتضمن عدة معان لغوية نصت عليها المعاجم العربية المعتمدة، يقال: أجاز الشيء أي: جعله جائزًا، والإجازة الإباحة والتسويغ.

وتفيد الإجازة اصطلاحا، الإذن والترخيص، وعند المحدثين: الإذن في السماع والرواية لفظا أو كتابة، ثم توسع هذا الإذن في رواية الحديث إلى إذن في قراءة ورواية علوم أخرى كالتاريخ والأدب والعلوم العقلية، وبهذا أصبحت الإجازة أصلا من أصول التعليم، وصار المفهوم الدقيق للإجازة أنها الشهادة التي يمنحها المدرس لتلميذه ودليل تمكن وحسن استيعاب.

2. أنواع الإجازة وأركانها:

توسع مفهوم الإجازة وعمّ مختلف المجالات الشرعية والأدبية والعلمية، وأصبحت متعددة الأنواع وذلك حسب: الصيغة (الإجازة الشفهية والإجازة التحريرية) وحسب الغاية (الإجازة العلمية والإجازة التعليمية).

1.2. أنواع الإجازة حسب الصيغة:

1.1.2.الإجازة الشفهية:

ظل منح الإجازات في بداية تداولها مقتصرا على الصيغة الشفهية، وكان مجال رواية الحديث هو المنطلق، ويذكر أحد الباحثين[7] أن أقدم الإجازات الشفوية المعروفة هي التي رواها بشر بن ناهيك حين قال: "كتبت عن أبي هريرة كتاباً، فلما أردت أن أفارقه قلت يا أبا هريرة إني كتبت عنك كتاباً فأرويه عنك؟ قال: نعم أَزْوِهِ عني".

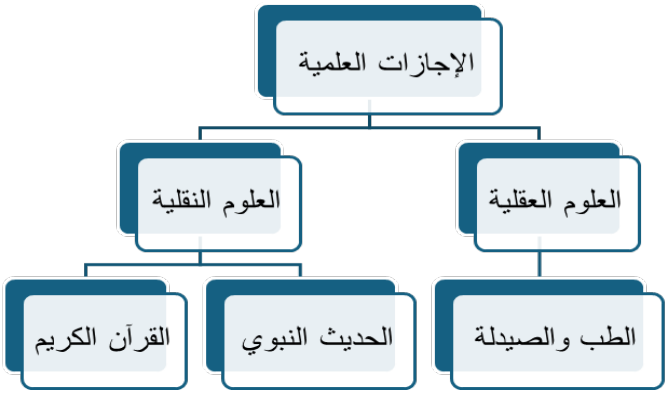
2.1.2. الإجازة التحريرية:

تأخر ظهور الإجازات المكتوبة بالقياس إلى تلك الشفوية حتى القرن الثالث هجري، ويمكن أن ندرج ضمنها الإجازات التحريرية، الإجازات المحررة على ظهر الكتب، حيث اعتاد بعض الشيوخ أن يكتبوا إجازات طلابهم على ظهر الكتب التي درسوها عليهم وأباحوا لهم روايتها[8].

2.2. أنواع الإجازات حسب الغاية:

1.2.2.الإجازات العلمية:

تطورت الإجازات العلمية الأصلية من التخصص في رواية الحديث وسماعها إلى الإجازات العلمية العامة، فشملت مختلف العلوم، فقد كان المسلمون يفرقون بين العلوم التي يتوصل إليها المرء من نفسه، وبين العلوم التي يتلقاها عن غيره. يقول ابن خلدون: "العلوم صنفان: صنف طبيعي، للإنسان أن يهتدي إليه بفكره، وصنف نقلي يأخذه عمن وضعه، ولا مجال فيها للعقل إلاّ في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول[9].



*** في علوم الحديث:**

يبحث في هذا العلم عن رواية الأحاديث وضبطها ودراسة أسانيدها، ومعرفة حال كل حديث من حيث القبول والردّ، و"الإجازة بالرواية" تعد أحد الطرق الثمانية* لنقل الأحاديث، ويذهب ابن الصلاّح إلى أنها ليست شهادة تثبت كفاءة الطالب وأعلميته وأحقيته بل طريقة لحمل السند فقط[10].

*** في علوم القرآن:**

تنال إجازات القرآن والقراءات، بالحفظ على يدي شيخ مقرئ متقن، وفي أثناء ذلك يُعلّم التجويد، وبعد اتقان الحفظ والتجويد معاً، تعطى الإجازة بالرواية التي قرأها على شيخه.

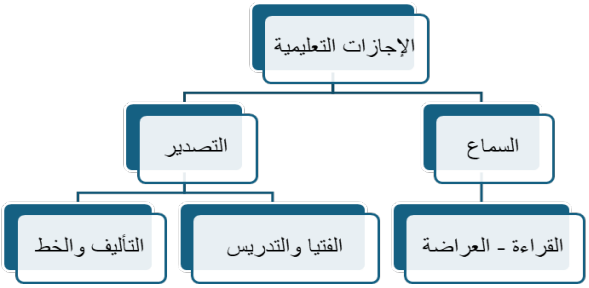
*** في العلوم العقلية:**

دخلت الإجازة كثيرا في العلوم الطبيعية والتجريبية، وتطور مفهومها من اقتصارها على الإذن برواية بعض الأخبار إلى كونها شهادة معتمدة من جهة ذات مصداقية في علم من العلوم، تظهر قدرة حاملها على الأداء العلمي المتقن في مجال تخصصه، ويذكر أحد الباحثين إلى أن الإجازات العلمية تختلف باختلاف مانحيها وباختلاف الحاصلين عليها، فقد تكون إجازة

عن كتاب تشهد للطالب بإتقانه وتعطيه الحق في تدريسه إن أراد، وقد تكون عن موضوع معين فقط، أو عن مادة من المواد ...[11].

2.2.2.الإجازات التعليمية:

وهي التي يشهد الشيخ فيها لتلميذه بالعلم والقدرة على التعليم، وهذه الإجازة تكون بعد سنوات من الجثو على الرُكب بين يدي العلماء والمحدثين، وبعد تمكن الطالب من دروسه واقتناع المعلم بأن تلميذه صار مؤهلاً واشتد عوده في علمه، يمكّنه من الإجازة، ويشهد له بالعلم ويزكيه ويأذن له بالتدريس والتعليم[12]، وهكذا نلاحظ أنه لا يمكن تحصيل هذه الإجازة إلاّ بعد مباشرة القراءة على الشيخ.



وقد صنف القلقشندي[13]، الإجازات التعليمية إلى ثلاثة أنواع:

* **الإجازة بالفتيا والتدريس:** والتي تندرج ضمن إجازات التصدير التي كان بعض الشيوخ يعطونها تلامذتهم وإيذاناً لهم في تولي بعض المناصب العلمية والدينية[14].

* **الإجازة بالمرويات (الرواية):** وطريقتها أن يكتب بعض طلبة العلم المستجزين إلى بعض الفقهاء والعلماء المختصين والأعلام المشهورين استدعاءات خاصة يطلبون فيها اجازتهم على ما يطلبونه من حق الرواية[15].

* **الإجازة بالعراضة:** جرت العادة أن بعض الطلبة إذا حفظ كتاباً في الفقه، أو النحو، أو غير ذلك من الفنون، يعرضه على مشايخ العصر، فيقطع الشيخ المعروض عليه ذلك الكتاب،

ويفتح منه أبوابا ومواضيع، يستقرئه إياها من أي مكان، فإن مضى فيها من غير تلعثم ولا توقف، استدل بحفظه تلك على حفظه جميع الكتاب[16].

* **إجازات التأليف:** اعتاد بعض العلماء على عرض مؤلفاتهم وقصائدهم التي أجادوا فيها على مشايخ العصر فيكتب لهم أهل تلك الصناعة إجازات التأليف والتي تقارب منهج التقريظ المدح على اختلاف أن الأولى تصدر عن أعلام العصر في فن كتاب المؤلف[17].

3.2. أركان الإجازة:

أركان الإجازة أربعة: المجيز والمجيز له والمجاز به ولفظ الإجازة[18]، وقد اشترط في المجيز أن يكون عالما بعلم يجيز به، متقنا لغته وثقة في دينه وروايته، على أن يكون المستجيز من أهل العلم متسما بسماته حتى لا يضع العلم إلا عند أهله، وبعد الاجازة يصبح الطالب شيخا وهو لقب الأستاذية، ويترقى إلى مصاف العلماء والفقهاء والأدباء له مكانته في المشيخة العلمية[19].

- المجاز به: وهو نوعان:

- ✓ إجازة بالرواية عن المجيز وغالباً ما تكون في العلم الشرعي.
- ✓ إجازة بممارسة صنعة أو بلوغ مقام وتكون بعد امتحان واختبار.

3. أهمية وقيمة الإجازات العلمية:

شاعت في الحياة العلمية لدى علماء الغرب الإسلامي في العصر الوسيط مجموعة تقاليد علمية، ظهرت منذ العصر الإسلامي الأول ثم ترسخت بمرور الأيام، وكانت الإجازة إحدى أجلى هذه التقاليد وأهمها، في النظام التربوي عند المسلمين، وقد عدت من بين الوسائل السلمية التي تتم عن طريقها نقل مختلف العلوم[20].

في هذا الضوء يمكن القول إن الإجازات تعبر عن رمز علمي للهوية الحضارية للأمة الاسلامية .رمز ولد في فضاء الحياة العلمية الإسلامية، وترسخ كتقليد يضبط الحركة العلمية، ويعمل على تصنيف مراتب طلاب العلم، ويفصح عن عروجهم في مدارج العلم، عبر الإشارة إلى مشايخهم وأساتذتهم الذين نهلوا منهم[21] ومن هذا نخلص إلى أهمية الإجازة كتقليد علمي تميزت به الدراسات الإسلامية.

الإجازة العلمية واحدة من رموز الحياة العلمية الإسلامية، التي أثمرها النظام التربوي الإسلامي، وولدت في فضاء الحلقات العلمية عند المسلمين، وتجذرت كتقليد متوارث يساهم في تنظيم تلقي العلم وتداوله بين الأجيال.

تحفل الإجازات لاسيما الكبيرة منها ببيانات شتى تلمح إلى الأحوال الاجتماعية والسياسية فضلا عن الثقافية والعلمية السائدة في تلك العصور وعلى هذا يمكن أن يستند إليها الباحث كوثائق هامة تعيد تحديد صورة الحياة الفكرية والاجتماعية للمجتمعات الإسلامية في ضوءها.

بناء على ما سبق يستطيع الباحث إضاءة الأبعاد الغائبة والمطموسة في الحواضر العلمية الإسلامية في جميع الأمصار، بعد التنقيب في الإجازة المدونة داخلها، والتقاط ما تحكيه تلك الإجازات ولو بالإشارة والتلميح، خاصة أن بعض الحواضر العلمية العريقة لا تسعفنا المراجع المتداولة في استجلاء صورة شاخصة الأبعاد لها في بعض مراحلها التاريخية.

تعتبر الإجازات من أهم الوثائق والسجلات التي احتفظت لنا بعدد غفير من أسماء طلاب العلم في تاريخ الغرب الإسلامي التي لم تستوعبهم مصنفات الرجال والتراجم، وربما أدرجتهم هذه المصنفات غير أنها لا تمنحنا معلومات وافية تحدد عصرهم وطبقتهم ومشايخهم وموقعهم في مسار الحركة العلمية.

الإجازة قناة للتواصل مع السلف والاطمئنان الى نسبة مؤلفات وأثار الماضيين إلى أصحابها، وقطع الطريق على انتحال آثار الاخرين، ونسبتها إلى غير أصحابها.

تعد الإجازات العلمية إحدى الدعائم التقليدية الأساسية الراسخة في الحضارة العربية الإسلامية، لمساهمتها في توريث العلم عبر الأجيال وفي مختلف الأمصار. فكان تداول العلوم لا يتم إلا من خلالها[22] كما ساهمت في اثراء الحياة الثقافية وتوطيد التواصل الحضاري لبلاد المغرب والأندلس.

من ثمار الإجازة توثيق الصِلات العلمية وتنشيط الرحلة العلمية بين المغرب الأوسط وحواضر العلم في العصر الوسيط، كما أنها أسهمت بشكل جلي في نقل العلوم والمعارف بينها، فقد حرص الفقهاء في نشر العلوم التي استجيزوا فيها في البلدان التي حطوا بها نهائيا، ذهبت إحدى الباحثات إلى تأكيد تلك الروابط خاصة مع العنصر الأندلسي الذي أجاز شيوخه الكثير من طلبة المغرب الأوسط[23]، وانتشار مصنفاتهم في الحواضر والتي قررت في الدرس وحلق العلم، شأن مختصر ابن الحاجب الذي أدخله ناصر الدين المشدالي إلى بجاية ثم نقله تلامذته إلى تلمسان وإفريقية وفاس وغيرها انتفع به الطلبة وعكفوا على دراسته وتدريسه، وكتبت شروحاً على كتبهم ومختصراتهم كالوغليسية في الفقه[24].

وهكذا فإن الصلة مشهودة بين التاريخ والإجازات، ولهذا تعتبر الإجازات نصوصاً تاريخية[25]، وبها تفتح أبواب العلم لمن استطاع إليه وتمكن فيه.

ويظهر مما سبق أن الإجازة باعتبارها تدل على المستوى العلمي لم يكن لطالب العلم في المغرب الأوسط والأندلس أن تنتهي مسيرته في طلب العلم، بل لابد عليه أن يصبح من العلماء المشهورين، أن يسعى للحصول على الاجازات في مختلف العلوم ومن أشهر العلماء عصره، فكان علماء المغرب الأوسط يتبادلون الزيارات العلمية مع حواضر الأندلس طلبا للعلم ولمزيد من المعرفة ورغبك في الحصول على الاجازات، وهو ما سنوضحه في المباحث الموالية.

4. الإجازات العلمية بين المغرب الأوسط والأندلس:

إن وفود العلماء والطلبة من المغرب الأوسط إلى الأندلس وحتى من الأندلس إلى حواضر المغرب الأوسط لا يمكن حصرهم من حيث العدد ولا من حيث التخصصات، كما أنه من الصعب أن نحصي عدد الإجازات بين العدوتين لأن ذلك يكاد يكون مستحيلا، وبالرغم من هذا إلا أن هناك نماذج تعبر عن مدى اهتمام علماء المغرب الأوسط والأندلس بالإجازات وتداولها. لذا سنحاول الاكتفاء بنماذج عن إجازات بجائية تلمسانية للأندلسيين وفي المقابل نماذج لإجازات أندلسية لعلماء بجاية وتلمسان.

1.4. نموذج عن العلماء البجائيين المرتحلين إلى الأندلس:

تحدثنا كتب التراجم عن البجائيين الذين ارتحلوا إلى الأندلس من أجل الاستزادة من العلم وملاقاة الشيوخ وطلب الإجازة، كما كانت لهم مساهمة علمية بالتدريس في مساجد الأندلس ومدارسها وفي هذا الصدد نذكر:

* **محمد بن إبراهيم بن محمد الأوسي:** (ت 715 هـ / 1315 م)، حيث استقر بغرناطة والذي برع في علم الحساب والهندسة والطب[26].

* **محمد بن يعقوب المنجلاتي:** (ت 730 هـ / 1329 م)، حيث استقر بألمرية، اجتمع عليه خلق كبير من فقهائها وطلبتها، يسمعون عليه فتفقهوا عليه، كما جاء على لسان المترجم[27].

* **أبو الحكم مروان بن عمار:** حيث استقر بألمرية والذي سمع العلم من مشيخة الأندلس كمحمد بن منعم وأبا القاسم بن حبيش وأبا عبد الله بن حميد[28] ونظراً لخبرته ومكانته المعرفية، عيّن قاضياً.

* **منصوربن علي الزواوي:** أحد أبرز علماء المغرب الأوسط، وكان قد تتلمذ على يد والده وعلى أبي علي منصور المشدالي، دخل الأندلس سنة (753 هـ / 1352 م) واستقر بغرناطة، حيث سمع علوم اللغة العربية من الشيخ الألبيري، وقد أجازه وأعطاه الإذن بالتدريس في حلقته،

وسمع من الشيخ الشريف أبي القاسم محمد بن أحمد الحسيني مؤلفاته، كما سمع وروى عن الشيخ أبي البركات بن الحاج والشيخ أبي جعفر الطنجالي، وبعد ذلك اتجه إلى التدريس[29] حيث تصدر للتدريس بالمدرسة النَّصْرِيّة المشهورة، وكان ابن الخطيب من طلبته[30]، وأثره يكمن في أن الإمام أبو إسحاق الشاطبي أخذ عليه كما أنه أفتى بالقطرين في النوازل[31]، ومن أبرز تلاميذه محمد بن أبي القاسم بن محمد بن عبد الصمد المشدالي، يحي ابن خلدون والمقري، وهكذا نلاحظ أن إجازة المشيخة الأندلسية لمنصور بن علي الزواوي والإذن له بالتدريس كان بعد الفهم والتحصيل، كما كانت هناك رحلات علمية لعلماء آخرين إلى العدوة الأندلسية طلبوا من خلالها الإجازة نذكر منهم: **أبو عبد الله محمد الفهري**[32] والشيخ **القاضي أبو محمد بن حجاج بن يوسف**[33] والشيخ **أبو القاسم عبد الرحمن بن السطاح** الذي أدخل إلى بلاد المغرب كتاب "الأنوار في الجمع بين المنتقى والاستذكار"[34]، بالإضافة إلى **محمد ابن إسماعيل الحضرمي المتيش**[35] (ت 625 هـ / 1228 م) الذي نزل مرسية ومالقة وقد حدّث عنه الناس.

2.4. نموذج عن العلماء الأندلسيين المرتحلين إلى بجاية:

وفد على حاضرة بجاية الكثير من الطلبة الأندلسيين سواء باحثين عن الإجازة من شيوخهم ببجاية أو مساهمة منهم في التدريس والإقراء نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

* **أبو عبد الله محمد بن صالح الكناني الأندلسي:** (ت 699 هـ)، يقول صاحب العنوان "رحل إلى العدوة واستوطن بجاية، ولقي المشايخ بالعدوتين وروى ودرى، واستجاز وأجاز، ورأى وأقرأ، واستمع واستنفع به خلق كثير[36].

* **محمد بن عبد الله فطيس:** (702 هـ / 1302 م)، من مالقة، الذي أجازه محمد بن صالح الكناني وناصر الدين المشدالي[37].

* **محمد بن أحمد بن شبرين:** من إشبيلية والذي كان من مشيخته ببجاية ناصر الدين المشدالي وأبو العباس الغبريني[38].

* **محمد بن إبراهيم بن الزبير:** (ت 765 هـ / 1363 م)، من غرناطة والذي درس الفقه والأصول على يد مشيخته وقد أجازه بذلك ناصر الدين المشدالي ومحمد بن صالح الكناني[39].

* **محمد بن جابر القيسي:** (ت 740 هـ / 1339 م) من وادي آش والذي درس على يد أبو العباس الغبريني وقد أجازه[40].

* **محمد بن يوسف الصريحي:** والذي درس أصول الفقه على يد أبو العباس الغبريني[41].

* **أبو البركات بن الحاج البلفيقي:** من ألمرية، تتلمذ على يد مشيخة بجاية نذكر منهم ناصر الدين المشدالي الذي درس على يده الفقه والحديث[42].

* **محمد بن القاسم بن أحمد الأنصاري:** (ت 728 هـ)، من شيوخه ناصر الدين المشدالي الذي درس الفقه، كما عين خطيبا بالجامع الأعظم[43].

* **محمد بن أحمد بن علي الهواري:** (ت 780 هـ/ 1378 م)، والذي دخل بجاية قادماً من الأندلس، حيث سمع دروس الفقه من الشيخ أبي عبد الله الزواوي[44].

* **ابن الأبّار البلنسي:** ومن الأندلسيين الذين ارتحلوا إلى الحاضرة بجاية نذكر المؤرخ والأديب ابن الأبّار البلنسي (ت 658 هـ)[45]، الذي استوطن بجاية ودرس بها وأقرأ وأسمع، وكان قبل ذلك قد حصل على إجازة عبد الرحمان بن عثمان التميمي البجائي أبو محمد المعروف بابن الخطيب (ت 620 هـ / 1223 م) وكذا إجازة أبو عبد الله محمد ابن القاسم ابن منداس البجائي (ت 643 هـ / 1245 م)[46]، أما رفيقه الخطيب أبو عبد الله بن صالح الكناني فقد ولي صلاة الفريضة والخطبة بالجامع الأعظم ببجاية ما يزيد على ثلاثين عاماً[47].

أما الفقيهان أبو محمد عبد الحق الإشبيلي، وأبو عبد الله القرشي ومعهم أبو علي المسيلي، فقد كانوا يجتمعون في حانوت بالمدينة للدّرس والإقراء[48].

ويذكر الغبريني أن شيخه أبي بكر محمد بن محرر كان يتصدر الجماعة الأندلسية ببجاية، والكل يأتي إلى منزله[49] وعنده مجتمعهم أبو عبد الله بن الأبّار، وأبو المطرف بن عميرة، وأبو بكر بن سيّد الناس، وأبو عبد الله الجنان وغيرهم، كان هو شيخ الجماعة وكبيرهم[50].

وهكذا نلاحظ أن منازل الشيوخ والعلماء الأندلسيين بحاضرة بجاية كانت اشبه بمدارس للأخذ أو الإقراء أو الإسماع، مثلما كان عليه علماء قرطبة وإشبيلية وغرناطة، كما نستنتج أن معظم الأندلسيين الذين حطّوا الرحال ببجاية التمسوا طلب الإجازة من كبار الفقهاء، كناصر المشدالي وأبي العباس الغبريني ومحمد بن صالح الكناني الذي رغم أنه أندلسي إلا أنه استقر ببجاية فأجاز واستجاز، وهو ما توضحه المصادر التي ترجمت لهذه الفترة خاصة "عنوان الدراية" و"الإحاطة".

3.4. نموذج عن علماء تلمسان المرتحلين إلى الأندلس:

لم يكن الوافدون على الأندلس يريدون التلمذة فقط، بل وجد منهم من ساهم بفضل علمه في إثراء الحياة الفكرية بالأندلس نذكر منهم:

* **جابر بن أحمد بن إبراهيم الحسيني القرشي:** المعدود من أهل تلمسان، حيث دخل إشبيلية سنة (578 هـ / 1183 م)، ذكره التيجيبي في مشيخته بأنه أخذ عنه في تلمسان، وقد تحصل جابر بن أحمد على إجازات المشايخ من أهل الحديث[51].

* **أبو علي حسن بن عبد الله الأشيري:** (569 هـ / 1174 م) وهو من أهل تلمسان وقد كان من أهل الإقراء والفقه والتاريخ وعليه كان اعتماد صاحب الحلل الموشية، وصاحب نظم الجمان[52]، كما اهتم في نفس المنحى التلمساني محمد ابن الحق اليفريني المعروف بالندرومي[53].

* **إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري التلمساني:** (ت 697 هـ / 1297 م) رحل إلى الأندلس رفقة أبيه، نزل بمالقة، حيث لقي هناك أبا العباس بن عصفور الهواري، وأبا

مطرف أحمد بن عبد الله بن عميرة، فأجاز له، وقد ألف أرجوزة في الفرائض سميت "بالتلمسانية" وهو في سن مبكرة[54].

* **أبو عبد الله محمد المقري الجد:** (ت 759 هـ / 1358 م)، تتلمذ على يد ابني الإمام وناصر الدين المشدالي والآبلي، دخل غرناطة سنة 757 هـ / 1356 م وتخرج على يديه العديد من الطلبة بعد إجازته لهم، نذكر منهم: شمس الدين الوادي آشي (ت 749 هـ / 1349 م)، وأبي إسحاق الشاطبي (ت 790 هـ / 1388 م) وأبي محمد عبد الله بن أبي القاسم بن جزي الغرناطي (ت 810 هـ / 1408 م) وغيرهم من الأعلام[55] كابن عباد ولسان الدين الخطيب وابن خلدون.

* **الشريف التلمساني:** (ت 771 هـ / 1370 م)، أخذ عن ابني الإمام وعمر المشدالي والآبلي[56] تتلمذ على يديه ابنه عبد الله وأبو إسحاق الشاطبي وابن خلدون، وإبراهيم المصمودي، وابن زمرك، وابن الخطيب، وابن عباد وغيرهم، وتشير المصادر إلى أن لسان الدين الخطيب كان كلما ألف مؤلفاً، أرسله إلى الشريف ليكتب عليه بخط يده - أي بمعنى إجازة تحريرية[57] -، وكان الإمام المفتي أبو سعيد بن لب شيخ علماء الأندلس إذا استشكل عليه أمر، كاتب الشريف يطلب تبيان ذلك، إقرار له بالفضل والفقه[58].

4.4. نموذج عن العلماء الأندلسيين المرتحلين إلى تلمسان:

كانت تلمسان محط أنظار معظم العلماء والفقهاء والأدباء في العهد الزياني، حيث تقدم لنا المصادر عدداً من الأندلسيين الذين اتخذوا تلمسان مقراً للإقراء والعلم والإجازة، وهذا يبين أن نظام الإجازة كان منتشراً فيها منذ تأسيسها[59]، وأصبح بمرور الزمن عادة متوارثة جيلاً بعد جيل، نذكر من هؤلاء الوافدين على سبيل المثال لا الحصر:

* **أبو محمد عبد الحق بن عبد الله بن عبد الرحمان الإشبيلي:** الذي أجاز أبو محمد ابن عبد الرحمان التيجيبي التلمساني (ت 610 هـ / 1213 م)[60].

* **الآبلي محمد ابن إبراهيم:** (ت 753 هـ / 1356 م) أصله من آبلة بالأندلس، تأثر بإبني الإمام وقد تتلمذ عليه الأخوان ابن خلدون والمقري الكبير، وأبو عبد الله الشريف، وابن مرزوق الجدّ، وسعيد العقباني.

* **محمد بن يوسف بن محمد بن زمرك:** (كان حياً سنة 792 هـ / 1390 م) الذي روى عن أبي الحسن التلمساني – بمعنى أجازه بالرواية عنه – كما قرأ على الإمام الشريف التلمساني وأخذ عن منصور الزواوي وابن مرزوق، وانتفع بالقاضي المقري[61].

* **أبو القاسم ابن السرّاج الأندلسي:** (ت 848 هـ / 1445 م) الذي رحل إلى تلمسان حيث أخذ العلم عن ابن مرزوق الحفيد (ت 842 هـ / 1439 م) كما سأله في مسائل نحوية ومنطقية فأجابه ابن مرزوق بمؤلفه الموسوم "بالمعراج في استمطار فوائد ابن السرّاج" وهو يقع في كراسة ونصف[62].

* **سعيد ابن محمد العقباني:** (720 هـ - 811 هـ) من أسرة أندلسية تيجيبية هاجرت إلى تلمسان واستقرت بها، تتلمذ على شيوخ المدرسة التلمسانية، كإبني الإمام والآبلي الذي أخذ عنهم الأصول[63]، كما تناولت المصادر ابنه قاسم ابن سعيد الذي أجاز القلصادي[64]، أما إبراهيم بن قاسم (ت 880 هـ / 1476 م) فقد تتلمذ عليه الونشريسي صاحب "المعيار".

* **أبو الحسن القلصادي:** (891 هـ / 1486 م)، رحل من قلصادة شمال الأندلس سنة 840 هـ - 1437 م متجها إلى تلمسان للاتصال بعلمائها والأخذ عنهم، حصل من خلال لقائه بالعلماء الذين درس عليهم على العديد من الإجازات العلمية التي كان يحرص عليه العالم لضمان انتشار علمه علماً صحيحاً، ولينال علماً مضبوطاً لا شك في نسبته لصاحبه[65]، فقد أجاز **أبو عبد الله محمد ابن أحمد بن محمد ابن مرزوق** (الحفيد) القلصادي بعد أن قرأ عليه كتابه في الفرائض وأواخر الإيضاح للفارسي وصحيح البخاري، وشرح التسهيل لابن مالك، والمنهاج للغزالي[66].

ومن خلال حصاد الفقرات السالفة الذكر، يتوضح لنا جليا اهتمام العلماء في القطرين بالإجازة على اختلاف صورها سواء كانت إجازة عامة أو إجازة بالرواية أو إجازة تحريرية، وهذا ما يتأكد لنا من قول :"ولو صحت الإجازة بطلت الرحلة"[67]، ويفهم من هذا تلازم الاجازة والرحلة العلمية وضرورتها من أجل الحصول على إجازة حقيقية، وهكذا واضب طلاب العلم ببجاية وتلمسان والأندلس من القرن السابع إلى القرن التاسع الهجريين/13-15م على طلب الإجازة والرحلة من مدنهم إلى أنحاء أخرى من أجل التحصيل وحضور مجالس العلماء وأخذ العلم عن طريق الرواية من الشيوخ مباشرة بدلا من أخذه عن طريق الكتب والمصنفات.

الخاتمة:

الإجازة سبيل لاكتساب العلم والمعرفة من مراكز العلم المختلفة، إذ أصبحت تشكل عنصر تقارب وتواصل علمي بين المغرب الأوسط والأندلس حيث تمازجت عناصر الثقافة بينهما، فكانت حواضر المغرب تحتضن أفواج الأندلسيين الوافدين على المغرب وأضحى الأندلس بمجالسه العلمية، ومشيخته الواسعة مقصد الرحلة عند شيوخ المغرب الأوسط وطلبته. فكان من نتائج ذلك أن ارتفع النشاط العلمي وتعددت مراكز التعليم وازدهر العمل التأليفي، فهي وثيقة من الوثائق التي يمكن الاستعانة بها من أجل كتابة تاريخ العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس، وإذا كانت الإجازة جزء من التراث الحضاري العربي الإسلامي فما أحوجنا إلى البحث في هذا التراث قصد استجلاء الأبعاد الغائبة والمطموسة في تاريخنا وإعادة تحديد صورة الحياة الفكرية والاجتماعية لمجمعاتنا.

الهوامش:

1- الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 8، د ت، ص 651.

2- الونشريسي. المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والمغرب والأندلس، تحقيق عفيف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي. بيروت ،1981، ج 11، ص 15.

3- أحمد رمضان أحمد، الإجازات والتوقيعات المخطوطة في العلوم العقلية والنقلية من القرن (4هـ-10هـ). منشورات هيئة الآثار، مصر، 1985، ص 14-15.

4- مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ط1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1996، ص 18.

5- ابن الصلاح، مقدمة ابن الصلاح، تحقيق نور الدين عتر، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1986، ص 164.

6- سعودي أحمد، الاجازة العلمية مظهر من مظاهر التواصل العلمي بين المشرق والمغرب، مجلة الحكمة للدراسات الاسلامية، الجزائر، العدد1، جوان 2013، ص 165.

7- عبد الله فياض، الاجازات العلمية عند المسلمين، ط 1، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1967، ص 21.

8- الهلالي إيمان، الإجازة في الطب، أطروحة دكتوراة، كلية الطب والصيدلة، المملكة المغربية، 2019، ص 17.

9- ابن خلدون، المقدمة، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق، ط 1، 2004، ج 2، ص 171.

* - طرق تحمل الحديث وأدائه ثمانية هي: - السماع من لفظ الشيخ – القراءة على الشيخ – الإجازة – المناولة – المكاتبة – الإعلان – الوصية – الوجادة. أنظر أحمد عمر هاشم، قواعد أصول الحديث، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1984، ص 221-235.

10- ابن الصلاّح، مقدمة ابن الصلاّح، ص 82.

11- خالد بلعربي، ملامح الحركة التعليمية في تلمسان خلال القرن (8 هـ / 14 م)، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة سيدي بلعباس، مكتبة الرشاد، الجزائر، العدد 2002/02، ص 227.

12- الهلالي إيمان، الإجازة في الطب، ص 21.

13- صاحب كتاب "صبح الأعشى في صناعة الانشا، وهو موسوعة شاملة لجميع العلوم الشرعية والأدبية والجغرافية والتاريخية.

14- عبد الله فياض، الإجازات العلمية، ص 45.

15- القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الانشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1919، ج 14، ص 326.

16- القلقشندي، المصدر نفسه، ج 14، ص 326.

17- لزعم فوزية، الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2005-2006، ص 25.

18- ابن قنفد القسنطيني، شرف الطالب في أنس المطالب، تحقيق عبد العزيز صغير دخان، مكتبة الرشد، الرياض، ط 1، 2003، ص 146.

19- عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر، الجزائر ،2002، ج 2، ص 357.

20- عبد الله الفياض، الاجازات العلمية، ص 45 – 46.

21- عبد الجبار الرفاعي، أثر الإجازات في الوحدة الثقافية، مجلة علوم الحديث، كلية علوم الحديث، طهران، العدد 2، 1997، ص 297.

22- نذير برزاق، الاجازة العلمية دلالة المبنى والمعنى – رصد للحراك الفكري للعلماء ببلاد المغرب خلال العصر الوسيط، مجلة عصور الجديدة، العدد 23 ،2016، ص 288.

23- حناشي فهيمة، العلاقات بين الغرب والأندلس خلال القرنين (5 – 6 هـ / 11 – 12 م) دراسة اجتماعية وثقافية، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة (2011 – 2012)، ص 14.

24- بريكة مسعود، الرحلة العلمية بين بجاية وحواضر الغرب الإسلامي (ق 7 – 9 هـ / 13 – 15 م)، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، العدد 12، ص 382.

25- عباس العزاوي، نصوص في إجازات الخطاطين، مجلة المورد، عدد 3 – 4، العراق، 1972، ص 180.

26- ابن خطيب، لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1977، ج 3، ص 69-70.

27- ابن القاضي، درة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق محمد الأحمدي، دار التراث، تونس، ط1، 1971، ص 278.

28- أبو العباس أحمد الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق عادل نويهض، بيروت، 1969، ص 301.

29- ابن الخطيب، الإحاطة، ج 3، ص 324 – 328.

30- يقول ابن الخطيب: "جربته وصحبته فبلوت منه دنيا ونصفة وحسن عشرة"، ينظر ابن الخطيب، الإحاطة، ج 3، ص 335.

31- ابن خلدون (يحي)، بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، تحقيق عبد الحميد حاجيات، عالم المعرفة للنشر، الجزائر، منشورات تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 2011، ج 1، ص 171، ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق محمد ابن أبي شنب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986، ص 371.

32- الغبريني، عنوان الدراية، ص 241.

33- الغبريني، عنوان الدراية، ص 245.

34- الغبريني، عنوان الدراية، ص 263.

35- ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهروس، دار الفكر، بيروت، ط 1995، ج 2، ص 165.

36- الغبريني، عنوان الدراية، ص 79.

37- ابن مخلوف، شجرة النور الزكية، في طبقات المالكية، المطبعة السلفية، القاهرة، 1930، ج 1، ص 451.

38- ابن الخطيب، الإحاطة، ج 2، ص 242.

39- ابن الخطيب، الإحاطة، ج 3، ص 157، الغبريني، عنوان الدراية، ص 355.

40- ابن الخطيب، الإحاطة، ج 3، ص 163.

41- ابن الخطيب، الإحاطة، ج 2، ص 303.

42- النباهي، المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، 2006، ص 164.

43- ابن القاضي، درة الحجال، ص 74.

44- ابن القاضي، درة الحجال، ص 242.

45- الغبريني، عنوان الدراية، ص 309 – 313.

46- ابن بشكوال، الصلة، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط 1، 1989، ج 3، ص 118.

47- الغبريني، عنوان الدراية، ص 32.

48- الغبريني، عنوان الدراية، ص 34.

49- ابن الخطيب، الإحاطة، ج 1، ص 174.

50- الغبريني، عنوان الدراية، ص 287.

51- ابن الأبار، التكملة، ج 1، ص 201.

52- ابن القطان، نظم الجمان، تحقيق محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، ط 2، 1990، ص 210.

53- ابن الأبار، التكملة، ج 2، ص 165.

54- ابن خلدون يحي، بغية الرواد، ج 1، ص 144.

55- أبو الأجفان، أبو عبد الله المقري محمد، ص 98.

56- التنبكتي، كفاية المحتاج بمعرفة من ليس في الديباج، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط 1، 2004، ص 337.

57- إجازة تحريرية: يدخل هذا النوع ضمن الإجازات المحررة على ظهر الكتب، ينظر أنواع الإجازات بالتفصيل في المباحث السابقة.

58- ابن مريم، البستان، ص 247. التنبكتي، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط 1، 2003، ص 438. المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط 1998، ج 6، ص 25.

59- الجيلالي شقرون، تلمسان مركز إشعاع حضاري في المغرب الأوسط، مجلة الفقه والقانون، د ع، د ت، ص 5.

60- التيجيبي، برنامج الحافظ أبي عبد الله محمد ابن عبد الرحمان التيجيبي، تحقيق سعيد الحسن، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 2011، ص 240.

61- التنبكتي، كفاية المحتاج، ص 76.

62- بوعقادة عبد القادر، الحركة الفقهية في المغرب الأوسط بين القرنين 7 – 9 هـ / 13 – 15 م، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2، 2014 – 2015، ص 371.

63- ابن مريم، المصدر السابق، ص 150.

64- القلصادي، رحلة القلصادي، دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978، ص 106.

65- بلعربي خالد، الحركة العلمية في الدولة الزيانية في القرن 9 هـ / 15 م في ضوء رحلة القلصادي، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات، المجلد 3، العدد 5، ديسمبر 2017، ص 108.

66- القلصادي، المصدر السابق، ص 96.

67 - محمد بن عبد الرحمن التجيبي، المصدر السابق، ص240.